الأول الذي سيرافقك فيه، وسيكبر رجلاً أفضل كل يوم في نمط مماثل، بماذا، يا بروتاغوراس، سيكون أفضل؟ وبشأن ماذا؟

عندما سمعني بروتاغوراس أقول هذا، أجاب: أنت تسأل أسئلة بعدل، وإنني أرغب أن أجيب على سؤالٍ يُسأل ويُوضع بعدل. إذا أتى إليَّ هيبوقراط فإنّه لن يختبر نوع الكدح الذي يعتاده السوفسطائيون الآخرون في إهانة تلامذتهم الذين عندما هربوا من الفنون لتوّهم، يرغمهم هؤلاء الأساتذة أن يعودوا إليها، ويُكرِهُون على أن يتعلموا علم الحساب وعلم النجوم وعلم الهندسة وعلم الموسيقى. [ألقى نظرةً على هيبياس عندما قال هذا]؛ لكنه إذا أتى إليَّ، فهو سيتعلم ذلك الذي يأتي ليتعلّمه. ويكون هذا التعقّل في الشؤون الخاصة كما العامة؛ أنّه سيتعلَّم أن ينظِّم بيته الخاصّ في أفضل أسلوب، وسيكون مؤهّلاً لأن يتكلم ويفعل في الشؤون التيّ تخصّ الدولة بشكل كامل.

سقراط: هل أفهم أنك تقول، وهل تعني أنك تعلّمه الفنون السياسيَّة، وأنك تُعِدُّ لأن تجعل الرجال مواطنين صالحين؟

بروتاغوراس: إنّ تلك، يا سقراط، هي المهنة التي أُسبِّبها بالضبط.

سقراط: إذن، فأنت تمتلك فنّاً نبيلاً بحقّ، إذ لا خطأ بشأن هذا. إنّني سأتكلّم إليك، يا بروتاغوراس، بكل إخلاص، وأعترف بأني اعتدت أنْ أعتقد أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه، ومع ذلك فأنا لا أعرف كيف أنكر إثباتك. وعليَّ أن أخبرك لماذا أتصوّر أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه أو نقله من إنسانٍ إلى إنسان. أعتقد أنّ الاثينيين هم شعب واع، يقدّرهم الهيلينيون الآخرون. ألاحظ الآن أنّنا عندما نتقابل معاً في الجمعية العمومية، والمسألة التي سنبحثها تخص البناء، فالبناؤون هم المدعوون كمستشارين. وعندما يكون السؤال عن بناء السفن، يُستدعى صانعو السفن حينئذ؛ وما يشبه ذلك في

الفنون الأخرى التي يعتقدون أنها قادرة لأن تُثقَّف وتُعلَّم. وإذا تقدَّم لنُصحهم شخص لا يرون عنده أيّة براعة في الفنّ، رغم بهاء طلعته وثرائه ونبله فهم لن يستمعوا إليه، بل يضحكون منه ويستهجنونه، فإمَّا أن يُحبط ويعتزل بنفسه، أو يُسحب بعيداً ويُوضع خارجاً حسب أمر الاختصاصيين. هذه هي طريقتهم التي يسلكونها بشأن ذلك الذي يعتبرونه موضوعاً للفنّ. لكن عندما يكون السؤال في شؤون الدولة، فإنّ كلّ شخص يكون حراً ليعبِّر عن رأيه: النجار، المفكر، الإسكافي، التاجر، قبطان الباخرة، الغني والفقير، العالي والسافل، أيّ شخص يحب يستيقظ، ولا أحد يؤنّبه، كما فعلوا في الحالة السابقة، بما لم يتعلموه، ولم يمتلّكوا أستاذاً له، ومع هذا أسدوا نصيحة. فعلوا ذلك بوضوح لأنّهم كانوا تحت انطباع أنّ هذا النوع من المعرفة لا يُستطاع تعليمه، وهذا ليس حقيقاً عن الدولة فقط، بل عن الأفراد. إنّ أفضل وأعقل مواطنينا غير قادرين على أن ينقلوا امتيازهم الخاصّ إلى الآخرين؛ كمثال بريكلس، والد هذين الرجلين الشابين اللذين أمدَّهما بتعليمٍ رائع في كل ما يمكن تعلّمه من الأسياد، ولم يعلّمها في دائرته السياسيَّة الخاصة، ولا أحضر لهما أساتذة؛ لكن سمح لهما التجول بإرادتهما الخاصة على أمل أنّهما سيهتديان إلى الفضيلة من تلقائهما. أو خذ مثلاً آخر: هناك كلينياس الأخ الأصغر لصديقنا السيبيادس، الذي كان يحرسه بريكلس ذاته بالتحديد؛ وحين أدرك أنّ ألسيبادس سيفسد كلينياس انتزعه من أخيه ووضعه بعيداً في بيت أريفرون ليتعلَّم. لكن قبل انقضاء ستّة أشهر، أعاده بريكلس إلى ألسيبيادس، غير عارفٍ ما يفعل به. وأقدر أن أذكر حالات أخرى لا تحصى عن أشخاص صالحين، ومع ذلك لم يجعلوا أي شخص آخر أبداً صالحاً، سواء كان صديقاً أو غريباً. عندما أفكر مليّاً في تلك الأمثلة، يا بروتاغوراس، يتبين أنّ الفضيلة لا يُستطاع تعليمها. لكن

حينما أستمع لكلماتك مرّة ثانية، فإنّني أضطّرب وأميل إلى الاعتقاد أنّه يجب أن يكون في ما تقوله شيء ما، لأنّني أعرف بأنّ لديك خبرة عظيمة، وتعليماً، واختراعاً. وأرغب في أنّك ستريني، إذا أمكن، أكثر قليلاً وبوضوح أنّ الفضيلة يمكن تعليمها. فهل ستسدي لي هذا المعروف؟

بروتاغوراس: أجل، يا سقراط، وبغبطة. لكن ماذا ستحبّ؟ هل عليّ، بوصفي الأكبر سنّاً، أن أتكلّم إليك كرجلٍ أصغر سنّاً في خرافة أخلاقية المغزى أو في أسطورة، أو أنّني سأتحاور خارج السؤال؟

[أجاب العديد على هذا أنّه سيختار بنفسه].

بروتاغوراس: حسناً، إذن، أعتقد أنّ الأسطورة ستكون ممتعة أكثر.

في سالف الزمان كانت هناك آلهة فقط، ولم تكن هناك مخلوقات فانية. لكن عندما أتى الوقت المعيَّن لولادة هؤلاء أيضاً، فالآلهة صاغتهم من التراب والنار وأمزجة منوّعة من كلا العنصرين في داخل الأرض. وعندما كانوا على وشك إحضارهم إلى نور النهار، أمروا بروميثيوس وأبيميثيوس كي يجهزوهم ويوزعوا عليهم نوعيّاتهم المناسبة كلاًّ بمفرده. قال إبيميثيوس لبروميثيوس: « دعني أوزّع، وأنت عاين ». إتّفقا على ذلك وبدأ ابيميثيوس بالتوزيع. بعض منهم وهبه القوة بدون السرعة، في حين جهَّز الأضعف بالسرعة. سلَّح بعضهم، وترك الآخرين عُزّلاً من السلاح؛ واستنبط للمتأخّرين وسائل الوقاية الأخرى. وضع حركة سريعة على أولئك الذين نسجهم من أجسام ضعيفة أو أمدَّهم بسَكَنٍ؛ سرّيٍّ، وحمى ذوي الجثث الضخمة بحجمهم الكبير جدّاً ومعوّضاً على بقيّةٍ منهم بشكل مماثل. إنّه استخدم هذه الوسائل احتياطاً من انقراض أية سلالة. وعندما احتاطوا ضد هلاكهم بعضهم ببعض، واستنبط هو وسائل أيضاً لحمايتهم ضدَّ الفصُول السماويَّة، كاسيهم بشَعرٍ قريب من بعضه بعضاً وبجلودٍ سميكةٍ كافيةٍ لتدافع عنهم

ضدّ برد الشتاء، وقادرة مع ذلك أن تقاوم حرّ الصيف، ووافية بالغرض أيضاً كسرير طبيعي خاصّ بهم عندما يريدون أن يرتاحوا. أمدَّهم هو كذلك بالأخفاف والشعر والجلد الصلب القاسي في قوائمهم. أعطاهم بعدئذ الغذاء المتنوع: وهب عشب الأرض لبعضهم، وثمرات الأشجار للبعض الآخر، والجذور لغيرهم، ومنح البعض الثاني الحيوانات كغذاء. وأنشأ الغير ليحوز بعض الأفراد الصغار، في حين أنّ أولئك الذين كانوا غنائمهم كانوا وافري الثّمر؛ وصينت السلالة بهذه الطريقة. هكذا فعل ابيميثيوس، الذي لم يكن عاقلا جدّاً. نسي أنّه وزّع كل النوعيات التي كان عليه أن يهبها بين الحيوانات المتوحشة، وعندما وصل إلى الإنسان الذي بقي بدون تجهيز، كان مرتبكاً بشكل رهيب. عندها، وفي غمرة هذا الارتباك، أتى بروميثيوس ليعاين التوزيع، ووجد أنّ الحيوانات الأخرى كانت مجهَّزة بشكل ملائم تماماً، لكنّ الإنسان كان عارياً وحافياً، ولم يكن لديه أسرَّةً ولا أسلحة للدفاع. وحانت لحظة خروج الإنسان إلى النور، ولم يعرف بروميثيوس كيف يمكنه أن يدبِّر نجاته، لذلك سرق الفنون الميكانيكيَّة من هيفياستوس وأثينا، وسرق النار معها، وأعطاها إلى الإنسان، « لا يمكن لهذه الفنون أن تُكتسب أو تُستعمل بدون النار ». وهكذا امتلك الإنسان الحكمة الضروريّة ليدعم حياته، لكنّه لم يحز الحكمة السياسيَّة لأنّها كانت بعهدة زيوس، ولم تمتدّ سلطة بروميثيوس بعدُ للدخول في معقل السماء، حيث سكن زيوس، الذي كان لديه خفراء مرعبون. لكنّه دخل خلسة وتسلل إلى مشغل أثينا وهيفياستوس العامّ، الذي اعتادوا على أن يزاولوا فيه فنونهم المحبَّبة ونقلوا فنّ سيفياستوس للعمل بالنّار، وكذلك نقلوا فنّ أثينا، ومنحاه إلى الإنسان. بهذه الطريقة زوِّد الإنسان بوسائل الحياة. لكن قيل أن بروميثيوس قد أُعدِم بسبب السرقة فيما بعدُ، وبسبب تَخَبُّطِ ابيميثيوس.

لَمَّا كان الإنسان يمتلك حصّة في الخواصّ الإلهيَّة، كان في البدء الكائن الوحيد بين الحيوانات الذي امتلك أيّة آلهة، لأنّه كان وحده من أنسبائهم. وهو الذي سوف يشيِّد معابد ورموزاً لهم. وهو لم يكن لزمن طويل في اختراعه الخطب البيِّنة والأسماء، وبنى البيوت ونسج الثياب وصنع الأسرَّة والأحذية، وكسب رزقه من الأرض. وبهذا التجهيز، عاش الجنس البشريّ مَشتّتاً، ولم تكن هناك مدن. لكنّ العاقبة كانت أن دمرتهم الوحوش البريَّة، لأنّهم كانوا أضعف بالمقارنة بها بشكل مطلق، وكانت مكاسبهم العملية كافية لتمدَّهم بوسائل الحياة فقط، ولم تمكّنهم من مواصلة الكفاح ضدّ الحيوانات. امتلكوا الغذاء، لكنّهم لم يحوزوا فنّ الحكومة لحدّ الآن، الذي يعتبر فنّ الحرب جزءاً منه. جمعتهم الرغبة بعد مدّة قصيرة للبقاء في المدن؛ لكنّهم عندما تجمعوا معاً، ولم يكن لديهم فنّ الحكومة. عاملوا بعضهم بعضاً بشكل ذميم، وكانوا سائرين في عملية التشتّت والفناء مرة ثانية. خاف زيوس من انقراض الجنس البشري، فبعث هرمس إليهم، حاملاً المهابة والعدل ليكونا المبدأين المنظمين للمدن ووِثاقَيْ الصداقة والوفاق. هرمس سأل زيوس كيف سينقل العدل والمهابة بين الرجال: هل سيوزعهما كما توزَّع الفنون؛ يعني، لأقلّيةٍ مفضلةٍ. كمثال، فرد واحد حاذق لديه كفاية من علم الطب أو أيّ فن آخر لأجل أشخاص عديدين غير حاذقين؟ « هل سيكون هذا هو الأسلوب الذي سأوزِّع فيه أنا العدل والمهابة بين الرجال، أو أنّني سأمنحهما للجميع؟ »، « إلى الجميع »، قال زيوس؛ « أحبّهم جميعاً أن يمتلكوا حصة. فالمدن لا تستطيع البقاء، إذا ما شارك قليل في الفضائل فقط، كما في الفنون. وأبعد من ذلك، شُرِّع قانون، بناءً على أوامري، أن من لا يحوز جزءاً من المهابة والعدل سيقدَّم للموت، لأنّه طاعون الدولة ».

هذا هو السبب، يا سقراط، لماذا لا يسمح الأثينيون والجنس البشري بشكل

عامّ إلاّ لقلّة ـ لأن تشارك في استشاراتهم، عندما يتعلق السؤال بالنجارة أو بأيّ فنّ عمليّ آخر؛ وحين يتدخل أيّ شخص آخر، فهم يعترضون عندئذ، كما تقول، إذا لم يكن هو من القلّة المفضّلة. وسأجيب أن ذلك، شيء طبيعي جداً. لكنّهم حينما يلتقون للتداول بشأن الفضيلة السياسيّة التي تتقدّم بطريق العدل والحكمة، يصبرون كفاية على أيّ رجل يتكلم عنها، كأنّه شيء طبيعي أيضاً، لأنّهم يعتقدون أنّ كلّ رجل ينبغي أن يشارك في هذا النوع من الفضيلة؛ وأنّ الدول لا يمكنها البقاء إذا كان هذا مختلفاً. هذا، يا سقراط، هو سبب هذه الظاهرة. ويمكنك أن لا تفترض نفسك مخدوعاً في الاعتقاد أنّ كل الرجال يعتبرون كل إنسانٍ وكأنّه يمتلك حصّة في العدل أوّ الأمانة وفي كل فضيلة سياسيّة أخرى. دعني أعطيك برهاناً أبعد من ذلك. إذا قال إنسان في الحالات الأخرى، كما أنت مدرك لها، إذا قال إنّه عازف حاذق على القيثار، أو بارع في أيّ فنّ آخر لا يملك براعة فيه، فالناس إمّا سيضحكون منه أو سيغضبون عليه، ويعتقد أقرباؤه أنّه مجنون ويلومونه. لكن عندما تكون الأمانة قيد البحث، أو أيّة فضيلة سياسية أخرى، حتى إذا عرفوا شخصاً أنّه أمين، ومع ذلك، إذا تقدم إنسان وأخبر الحقيقة ضدّ نفسه بشكلٍ علنيّ، حينئذ فإنّ ما كانوا يعتبرونه إدراكاً جيّداً في الحالات الأخرى، إخبار الحقيقة، يحسبونه جنوناً الآن. إنّهم يقولون إنّ كلّ الرجال عليهم أن يمارسوا الأمانة سواءٌ أكانوا أمناء أوْ لاَ، وأنّ الإنسان الذي لا يطالب بتلك الفضيلة يكون معتوهاً. وفكرتهم هي أنّ كلّ إنسانٍ عليه أن يحوزها في درجةٍ ما، وإلاّ فما يجب أن يكون في هذا العالم.

لقد أبنتُ أنّهم على حقّ في الاعتراف بأن كلّ إنسانٍ يكون كالمستشار بشأن هذا النوع من الفضيلة، كما هم ذوو رأي في أنّ كل إنسانٍ هو مشارك فيها. وإنّني سأكافح الآن لأظهر ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّهم لا